الخليفة المستعصم العباسى

وسقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ

إعداد

الدكتور عبد البارى محمد الطاهر

كلية دار العلوم بالفيوم - جامعة القاهرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الخليفة المستعصم العباسى وسقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ

إعداد الدكتور : عبد البارى محمد الطاهر

كلية دار العلوم بالفيوم — جامعة القاهرة

مقدمـــــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله معلم الناس الخير المبعـــوث رحمـــة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واتبع سنته إلى يوم الدين .

وبعد ...

فقد أقام رسول الله (ﷺ) الدولة الإسلامية الأولى فى المدينـــة المنـــورة ثابتـــة الأركان ، فلما رحل إلى الرفيق الأعلى نشأت الخلافة الإسلامية بقيادة الخلفاء الراشـــدين من بعده رضى الله عنهم ، ثم حمل رايتها الأمويون إلى دمشق ، ثم انتقل العباسيون بـــها إلى بغداد ، ثم سامراء ، ثم بغداد مرة أخرى حتى سنة ٦٥٦هـــ ، وقد بقيت هذه الدولـــة عبر هذه السنين الطويلة تعصف بها رياح الغدر من داخلها أحيانا ، ويواجهـــها أعـــداء الإسلام من خارجها أحيانا أخرى ، ومع كل هذا بقيت متماسكة .

وكان منصب الخليفة الذى يحرس الدين ويسوس الدنيا رمزا من رموز وحدتـــها ، يعاونه وزيره ويشد من أزره [1] من أجل تحقيق هذا الهدف النبيل . ومن هنـــا كـــان منصب الوزير واختياره من الأهمية بمكان .

ثم طمع الصليبيون [2] فى أرض الإسلام ، وانتهزوا حالة الضعف التى تمر بـــها الأمة ، فأغاروا عليها وأقاموا فيها على حين غرة ، ثم على ضعف من أبناء المســـلمين ، وشاء الله أن يخرجوا عن هذه الديار إلى حين ، ثم عادوا من جديد .

---

(١) قال تعالى على لسان موسى عليه السلام : (واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى).

(٢) الصليبيون قوم من أوربا رفعوا الصليب راية لهم واجتمعوا حولها بغرض الإغارة على ديار الإسلام والسيطرة على ما وهبهم الله من خيرات وممتلكات . الدكتور محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى .ط ١٩٨٣م—ص ٢١٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم اجتاح المغول [٣] بلاد الإسلام من الشرق ، يريدون السيطرة على العالم آنذاك ، وكان أخطر عقبة أمامهم هى حاضرة الخلافة الإسلامية ، والخليفة العباسى فى بغداد ، فاهتموا بالأمر ، وكرسوا له كل جهودهم وطاقاتهم حتى وصلت جحافلهم بغداد سنة ٦٥٦هـ ، وأحاطوا حاضرة الخلافة من جانبيها ، ثم ما لبثوا أن دخلوها ، وقضوا على الخليفة ومنصب الخلافة الذى كان يجمع المسلمين من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، وبقيت الدولة الإسلامية بلا قيادة نحو ثلاث سنوات ، واضطربت فيها أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، إلى أن حاول المماليك فى القاهرة إيقاف هذا الزحف الهمجى الغاشم ، وشرنموهم ، وأقاموا خليفة جديداً للمسلمين من بنى العباس ، وجعلوا القاهرة حاضرة الخلافة بدلاً من بغداد ، ثم أعادوا الاستقرار للبلاد الإسلامية من جديد وواجهوا المغول بقوة وصلابة ، فلم يتحقق هدفهم الثالث الذى كان مقدمة للسيطرة على العالم ، لكن الله غالب على أمره قد جعل الله لكل شئ قدراً .

ولقد كان التأريخ لهذه الفترة غصة فى حلق المؤرخين ، بل كان بعضهم يتردد فى الكتابة مع معاصرتهم للأحداث ، خشية أن يكون ناعيا للإسلام [٤] . لكن الحقيقة

---

(٣) المغول : قوم سكان برارى ، وكانوا يعيشون بأطراف بلاد الصين ، وهم مشهورون بالشر والغدر . وأكثر المؤرخين مثل ابن الأثير والذهبى وابن كثير وابن تغرى بردى وغيرهم يسمونهم التتار أو التر ، والحق أن التتار جزء من المغول ، والسبب فى هذا الخلط بين الاسمين هو أن قبائل التتار هى التى ظهرت على ساحة الأحداث منذ القرن السادس الميلادى وسيطرت على المغول نحو عدة قرون حتى قفز جنكيز خان مترعما المغول فى القرن الثانى عشر للميلاد ، فقضى على التتار ، وأسس إمبراطورية مغولية ، غير أن اسم التتار الذى سبقت شهرته اسم المغول بستة قرون قد غلب على التسمية الجديدة ، وهذا الذى جعل المؤرخين يطلقون التتار على كل المغول .. راجع تاريخ الخلفاء ج١ ص ٤٦٧. والدكتور سعد محمد حذيفة سفر الغامدى : سقوط الخلافة العباسية ط. الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - ص ٥٣، ٥٤ ، والسلاطين فى الشرق العربى ص ٣٥.

(٤) من ذلك ما قاله المؤرخ ابن الأثير (كتابه الكامل فى التاريخ ج١٢ ص ١٢ ، ١٣) فى أحداث سنة ٦١٧هـ : " لقد بلى الإسلام والمسلمون فى هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم ، منها ظهور هؤلاء التتار ، يعنى المغول ، قبحهم الله ، أقبلوا على المشرق ، ففعلوا الأفعال التى يستعظمها كل من سمع بها " وقال أيضا : "لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى ، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ؟ ... ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى ... إن هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها " .

وقال السيوطى فى (تاريخ الخلفاء ج١ ص ٤٦٧) فى خبرهم : " هو حديث يأكل الأحاديث ، وخبر يطوى الأخبار ، وتاريخ ينسى التواريخ ، ونازلة تصغر كل نازلة ، وفادحة تطبق الأرض وتملؤها ما بين الطول والعرض " .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التى لا مراء فيها أن التاريخ لا بد أن يستفاد منه ، فإذا طرحناه وراء ظهورنا خوفا من
تعى الإسلام أو حتى لا نسرد أياما ظلم فيها المسلمون ، فنجتر مرارة الأسى والألم ،
يكون ذلك إهداراً لمعنى التاريخ ، فالأمة الواعية هى التى تفيد من تاريخها ، وتتقب عن
أسباب المشكلات التى حلت بها ، وتوصف العلاج المناسب لذلك ، لإنارة حاضرها ،
ورسم مستقبلها ، وهذه هى أهم فوائد التاريخ.

وفى هذه الدراسة الموجزة سأحاول إلقاء الضوء على شخصية الخليفة
المستعصم ووزيره ابن العلقمى ، باعتبارهما قمة الحياة السياسية ، ومز وحدة الأمة ،
وبصلاحهما يصلح أمر الناس ويستقيم حالهم ، وتتوحد كلمتهم ، ويهابهم أعداؤهم.

ثم أحاول بإذن الله تعالى بيان أثر هاتين الشخصيتين فى ضياع منصب الخلافة
، وعظم المسئولية التى يتحملانها فى هذا الشأن.

ولئن كانت قد تعددت أسباب سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ ، ما بين حالة
الاضطراب والفتن التى مرت بها البلاد على يد الأمراء فى أنحاء الدولة ، إلى
المشكلات الاقتصادية ، إلى الصراع المذهبى ، إلى وجود الصليبيين فى بلاد الإسلام
منذ زمن ، إلى الهمجية المغولية وقوتهم الغاشمة ، لكن الأثر الأكبر يرجع لهذين
الشخصين اللذين كان بمقدورهما تغيير مجرى الأحداث لو لم تكن فيهما صفات تؤهلهما
إلى ترك الأمور ، وتضييع الدولة.

وقد دفعنى للكتابة فى هذا الموضوع ضرورة التأكيد على أسباب الضعف
وعوامل القوة التى تفيد منها الأمة فى حاضرها ومستقبلها ، وأحسب أن أمة الإسلام
تسعى جاهدة نحو نهضتها فى عالم اليوم ، لإثبات وجودها ، ومواجهتها لتحديات
العولمة ، وهى تمثل خمس سكان المعمورة ، الخمس الموحد فى أهدافه وتوجهاته
وسلوكه ومشاعره ، وبالتالى فهى أولى بالريادة من غيرها.

وفضلا عن ذلك فإن المكتبة العربية الإسلامية فى أمس الحاجة لمثل هذه
الموضوعات الحية التى تربط ماضى الأمة بحاضرها ومستقبلها ، وتفتح بابا جديداً
للنظر الواعى الهادف إلى التراث الإسلامى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولما رجعت إلى مصادر الموضوع وجدت أن بعضها ينقل عن بعض بالحرف الواحد ، مثل ابن العماد فى كتابه " شذرات الذهب فى أخبار من ذهب " الذى كان ينقل نص الذهبى من كتابه " العبر فى خبر من غبر " ، ومثل السيوطى فى " تاريخ الخلفاء " الذى ينقل عن الذهبى أيضا . وربما كان الأمر سهلاً إذا وقف عند هذا الحد ، لأن النص الأقدم هو المعتمد بطبيعة الحال ، ما لم يقدم المرجع الحديث زيادة تستحق الاهتمام ، لكن الذى زاد من المتاعب أن بعض المؤرخين كان ينقل كلاماً مبتوراً يحتاج إلى بيان ، مما جعلنى أجمع بين النصوص وأحللها وأناقشها وفقاً للمنطق والواقع التاريخى ، إلى أن وفقنى الله تعالى للوصول إلى ما أرجو أن يكون قد أجاب على الأسئلة المطروحة سلفا ، وأرجو أن يكون البحث قد حقق الهدف المرجو منه بعون الله وتوفيقه .

والله أسأل أن يوفقنى للقول السديد ، والرأى الرشيد ، وأن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتى ، وينفع به الأمة الإسلامية ، ويرفع شأن المسلمين ليكونوا أصحاب الريادة فى عالم اليوم ، إنقاذا للإنسانية من هاوية سحيقة تنتظرها ، وفرقاً من استبدال الله تعالى هذه الأمة بغيرها إن هى خالفت أمر ربها ، ونكصت على أعقابها ، ولجسارة على حدود الله القائل : " وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم " (٥)

الحمد لله رب العالمين

---

(٥) سورة محمد من الآية ٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١)

ظهور المغول وإغارتهم على الشرق الإسلامى ومحاولات التصدى لهم

بدأ هجوم المغول على المشرق الإسلامى منذ سنة ٦٠٦هـ ، حين اتجهت جحافلهم إلى بلاد ما وراء النهر ، التى لم ترتقب فى المسلمين فى هذه المناطق إلا ولا نمة ، فاجتالتهم ، وخربت ديارهم واحدة تلو الأخرى [٦] .

وتوالت الاغارات المغولية ، واستمر زحفهم ، حتى أسقطوا الإسماعيليين فى خراسان ، بعد إسقاطهم للخوارزمين فى بلاد ما وراء النهر ، ثم اتجهوا ناحية ضواحى بغداد ، فوصلوا إلى أربيل سنة ٦٣٩هـ ، وحاصروها ، ثم دخلوها عنوة ، وقتلوا أهلها وأحرقوا جثثهم .

محاولات الخلفاء العباسيين للتصدى للمغول

تمثلت محاولات الخلفاء فى مواجهات عنيفة أحيانا ، ومحاولات للدفاع ضعيفة أحيانا أخرى ، وفيما يلى نركز على محاولات الخليفة الناصر ، ثم الخليفة المستنصر ، ثم أخر الخلفاء وهو المستعصم.

أ- الخليفة الناصر وعلاقته بالمغول :

يرى بعض المؤرخين أن الخليفة الناصر كان قد أرسل إلى المغول ليغيروا على الدولة الخوارزمية المسلمة ، لشحناء كانت بينهما ، غير أن هذه الفكرة كانت مجرد إشاعة لا أساس لها من الصحة ، وكان سبب ترددها بين المؤرخين ما تردد من محاولات الخوارزميين السيطرة على بعض أراضى الخلافة العباسية [٧].

ويشهد لهذا الاتجاه ما قام به الخليفة الناصر سنة ٦١٨ هـ حين بلغه ما قام به المغول من غارات غاشمة على الخوارزميين ، ثم توجههم إلى الجنوب الغربى لخراسان

---

(٥) تاريخ الخلفاء ج:١ ص : ٤٦٧-٤٧١ ، وعبد الحى بن أحمد العكرى الدمشقى (١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - دار الكتب العلمية -بيروت -ج٣ ص ٢٦٤.

(٦) وقد ناقش الدكتور الغامدى هذه الفكرة باستفاضة بعد عرض ما جاء عنها فى المصادر العربية والفارسية والصينية ، وتبين لها إشاعة لا تملك دليلاً مقنعاً عن صحتها ، وأن الخليفة الناصر برئ مما نسب إليه من تحمة تأليب المغول على الخوارزميين للقضاء على دولتهم . راجع فى هذا مناقشات الدكتور الغامدى للقضية فى كتابه سقوط الخلافة العباسية ص ١٦٧-١٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

، وزحفهم فى اتجاه أربيل ، مما حدا بسكان الموصل إلى التفكير فى ترك ديارهم والهجرة – حيث قام الخليفة الناصر بتحصين بغداد ، وأمر الناس بالتوجه إلى المساجد للصلاة والقنوت والدعاء الدائم على المغول أن يصرف الله شرهم ويدمرهم ، وينصر المسلمين عليهم ، واستنجد بالأمراء الأيوبيين فى الشام ، وأرسل إلى أمير أربيل وأمير الموصل يحثهما على الثبات [٨] .

ب- الخليفة المستنصر بالله يواجه المغول :

لما علم الخليفة العباسى المستنصر بالله ما فعله المغول في أربيل أرسل إليه ثلاثة آلاف فارس تحت إمرة شمس الدين أرسلان تيكين ، ثم أصدر الخليفة أوامره بعدم الذهاب إلى الحج فى هذا العام ، بعد استفتاء الفقهاء فى ذلك ، حيث أفتوا بتفضيل الجهاد في سبيل الله في هذه الظروف على أداء الحج.

وأخذ الخليفة المستنصر فى تحصين بغداد وإعمارها ، فأعاد تعمير سورها وخندقها ،، ووضع المجانيق على الأبراج ، وأحكم تحصين المدينة من جميع جهاتها .

وأدرك العلماء والفقهاء فى بغداد خطورة الموقف ، فتقدموا للتدريب على استعمال السلاح ورمى السهام ، وتبعهم عامة الناس ، واستنفرت بغداد كلها .

وعاود المغول الكرة على أربيل ، ثم زحفوا منها إلي دقوق ، فقتلوا وأسروا وسبوا وخربوا ، فخرج الخليفة المستنصر بنفسه – عندما علم بخبرهم – وتبعه الأمراء والقادة ، ووصلوا إلى دقوق ، واستردوها من المغول ، كما استردوا الأسرى.

ولم يمض سوى عام حتى توفى هذا الخليفة (سنة ٦٤٠هـ) ، وكتمت الحاشية خبر وفاته يومين ، حتى يعينوا من يرضونه ، فاتفقوا على اختيار المستعصم ، الذى أصبح اخر خلفاء بنى العباس فى بغداد .

ج- استمرار غارات المغول بعد وفاة المستنصر ومحاولات المستعصم لمواجهتهم :

استمرت إغارات المغول على ضواحى بغداد والبلاد التابعة للخلافة العباسية فى عهد الخليفة المستعصم ، ولم تكن تجد هذه القوات المغولية مقاومة تذكر إلى أن وقع ما

---

[٨] السابق ص ١٧٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد، الله من وصول جحافلهم إلى بغداد ، ومن أمثلة إغاراتهم : فـــي سنة ٦٥٠هـــ وصلوا إلى ديار بكر فقتلوا وسبوا وعملوا عوائدهم [٩].

وفي سنة ٦٥٤هـ أغاروا على قلعة الألموت وغيرها وعاثوا بنواحي السوى [١٠].

وفي سنة ٦٥٥هـ وصلوا إلى الموصل وخربوا بلادها [١١] .

ولقد حاول الخليفة المستعصم إيقاف هذا الزحف حين " تواترت الأخبار بوصول عساكر هولاكو إلى بلاد أذربيجان قاصدة بلاد الشام ، فـــوردت قصـــاد الخليفـــة بـــأن يصطلح الملك الناصر مع الملك العزيز صاحب مصر ويتفقا على قتال التتار فأجاب إلـــى ذلك وعاد إلى الشام " [١٢]، وغير أن هذا الصلح لم يتبعه تحرك جاد لمواجهـــة قـــوات هولاكو.

---

[٩] العبر في خبر من غبر : لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ) مطبعة حكومة الكويت سنة ١٩٤٨ الطبعة الثانية – مصورة – تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ج١ ص ١.

[١٠] العبر في خبر من غبر ج:٥ ص ٢١٦.

[١١] العبر في خبر من غبر ج:٥ ص٢٢١ وشذرات الذهب ج٣ ص ٢٦٧.

[١٢] شذرات الذهب ج٣ ص ٢٦٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢)

حصار بغداد وتخريبها وسقوط الخلافة

منذ تولى المستعصم الخلافة والمغول يتقدمون فى حروبهم ضد المسلمين فى شرق الخلافة ، ومحاولات الناصر والمستنصر لمواجهة المغول لم تزدهم إلا عزما وتصميما على إنهاء مشروعهم التوسعى ، وقد أدرك بعض المنتسبين إلى دولة الخلافة الإسلامية خطورة الأمر ، وضعفت همتهم ، فاتصلوا بالمغول ، ربما مصانعة لهم ، ومن هؤلاء حاكم الموصل ، والوزير ابن العلقمى ، وغيرهما .

ولما بلغ الخليفة المستعصم خبر وصول المغول إلى همدان ، وعزمهم على قصد العراق ، اجتمع برجال بلاطه ، فأشار الوزير ابن العلقمى بمهادنة المغول ، وإرسال الهدايا مصانعة لهم ، وخالف هذا الرأى القائد الدوادار الصغير ، وآخرون ، وقالوا : إن الوزير إنما يريد مصانعة ملك الغول بما يبعثه إليه من الأموال ، وأشاروا بأن يبعث الخليفة بشىء يسير ، فأرسل الخليفة شيئا من الهدايا ، احتقرها هولاكو ، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه الدوادار الصغير ، فرفض الخليفة ذلك ، فتقدمت جيوش المغول صوب بغداد [١٣].

وصل المغول بجيش جرار بلغ مائتى ألف محارب ، يتقدمهم هولاكو إلى بغداد فى أوائل شهر المحرم سنة ٦٥٦هـ ، واستقر هذا الجيش على الجانبين الشرقى والغربى لبغداد [١٤] .

وكان جيش الخلافة الإسلامية فى ذلك الوقت لا يتجاوز عشرة آلاف فارس، [١٥] وكانوا فى حالة من البؤس والفقر ، جعلت بعضهم يستجدى الناس فى الأسواق ، وعلى أبواب المساجد ، حتى رثاهم الشعراء ، كما رثوا الإسلام وأهله [١٦].

---

[١٣] البداية والنهاية : لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشى أبو الفداء (٧٧٤هـ) مكتبة المعارف ، بيروت ج١٣ ص٢٠٠-٢٠١

[١٤] العبر ج٥ ص ٢١٦ وشذرات الذهب ج٣ ص ٦٤.

[١٥] شذرات الذهب ج٣ ص ٢٦٣، ٢٦٤.

[١٦] البداية والنهاية ج١٣ ص ٢٠٠، ٢٠١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان قد التحق اثنان من قادة جيش الخلافة العباسية هما (أيبك الحلبى ، وسيف الدين قيلج) ، كان قد أرسلهما الدوادار الصغير ليكشفا له الطريق التى يسلكها أثناء سيره لمقابلة هولاكو ، لكنها هجراً موقعهما العسكرى ، وهرباً إلى المغول .

وقدمت إلى هولاكو أمداد صاحب الموصل ، لمساعدة المغول على البغاددة ، كما جاءت هذه الأمداد مشفوعة بالميرة والهدايا والتحف ، وكل ذلك سبب خوف صاحب الموصل على نفسه ، ومصانعة المغول قبحهم الله [١٧] .

وكانت بغداد قد نصبت فيها المجانيق والعرادات وغيرها من آلات الممانعة التى لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئا ، فى حين قام المغول بحفر الخنادق حول أسوار بغداد ، لتطويقها من كل جانب ، ثم شرعوا فى بناء المنجنيقات ، وتجهيز الآلات الحربية الخاصة بقذف النفط ، والعربات ذات العجلات التى تطلق الأسهم من طريقها ، ونصبت هذه الآلات والمعدات أمام سور بغداد ، وتقدم عسكر الخليفة لمواجهة هولاكو وجيشه ، فهزم العسكر ، ودخل المغول يوم عاشوراً [١٨].

" وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب ، حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدى الخليفة وتضحكه ، وكانت من جملة حظاياه ، وكانت مولدة تسمى عرفة جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهى ترقص بين يدى الخليفة ، فانزعج الخليفة من ذلك ، وفزع فزعاً شديداً وأحضر السهم الذى أصابها بين يديه ، فإذا عليه مكتوب ، إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوى العقول عقولهم ، فأمر الخليفة عن ذلك بزيادة الاحتراز ، وكثرت الستائر على دار الخلافة [١٩].

ثم دارت اتصالات بين هولاكو والخليفة ، أكد فيها الخليفة لهولاكو أنه لن يستطيع القضاء عليه [٢٠] ، فى حين استهان هولاكو به ، وطالبه بالمثول بين يديه ، وانتهى الأمر بأن " أشار ابن العلقمى على المستعصم بالله أنى أخرج إليهم فى تقرير

---

[١٧] البداية والنهاية ج١٣ ص ٢٠١، ٢٠٤.

[١٨] تاريخ الخلفاء ج:١ ص : ٤٧١.

[١٩] البداية والنهاية – ج١٣ ص ٢٠١.

[٢٠] فى رمضان سنة ٦٥٥هـ وصلت رسالة هولاكو إلى المستعصم ، وسوف يرد بعد ذلك نص هذه الرسالة والرد عليها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصلح بمخرج الخبيث ، وثوق لنفسه ، ورجع فقال : إن الملك قد رغب أن يزوج بقية بابنك الأمير أبى بكر ، وأن تكون الطاعة له ، كما كان أجدادك مع الملوك السلجوقية ثم يترحل ، فخرج إليه المستعصم فى أعيان الدولة ، ثم استدعى الوزير العلماء والرؤساء ليحضروا العقد بزعمه ، فخرجوا ، فضربت رقاب الجميع ، وصار كذلك طائفة بعد طائفة ، فتضرب أعناقهم ، حتى بقيت الرعية بلا راع .

ثم دخلت حينئذ التتار بغداد ، وبذلوا السيف واستمر القتل السبى نيفا وثلاثين يوما ، فقل من نجا ، فيقال : إن هولاكو أمر بعد القتلى ، فبلغوا ألف ألف وثمان مئة ألف وكسر ، فعند ذلك نودى بالأمان ، ثم أمر هولاكو بناجونوين ، فضربت عنقه، لأنه بلغه أنه كاتب الخليفة ، وأرسل رسولا إلى الناصر صاحب الشام يهدده إن لم تخرب أسوار بلاده (٢١).

وكيف قتل الخليفة ؟ .

لما وصل التتار وزعيمهم هولاكو إلى بغداد ، وأشار ابن العلقمى على المستعصم بأن أخرج إليهم فى تقرير الصلح ، ثم بين له بعد ذلك أن الملك هولاكو يرغب فى مصاهرته ، مقابل أن تكون الطاعة له ، ثم يترحل ، " خرج إليه المستعصم فى أعيان الدولة ، ثم استدعى الوزير العلماء والرؤساء ليحضروا العقد بزعمه ،فخرجوا فضربت رقاب الجميع " وأما الخليفة " فإن الكافر هولاكو أمر به وبولده فرفسا حتى ماتا وذلك فى آخر المحرم ، وكان الأمر أشغل من أن يوجد مؤرخ لموته أو مواراة جسده " (٢٢) .

ويرى ابن كثير أن المصالحة التى أرادها هولاكو : " على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج فى سبعمائة راكب من القضاء والفقهاء والصوفية ورؤوس الأمراء والدولة والأعيان .

---

(٢١) العبر فى خبر من غبر ج:٥ ص: ٢٣٥، ٢٣٦ ، والبداية والنهاية ج:١٣ ص ٢٠٠، ٢٠١ وشذرات الذهب ج:٣ ص ٢٧٠، ٢٧١.

(٢٢) شذرات الذهب ج:٣ ص ٢٧١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو خان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون على مراكبهم ، ونهبت ، وقتلوا عن آخرهم .

وأحضر الخليفة بين يدى هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت ، ثم عاد إلى بغداد وفى صحبته خوجة نصير الدين الطوسى ، والوزير ابن العلقمى وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة ، فأحضر من دار الخلافة شيئا كثيراً من الذهب والحلى والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة .

وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة ، وقال الوزير : متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاما أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك !! . وحسنوا له قتل الخليفة ، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله ، ويقال : إن الذى أشار بقتله الوزير ابن العلقمى والمولى نصير الدين الطوسى ... فلما قد هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك فقتلوه رفسا وهو فى جوالق لئلا يقع على الأرض شىء من دمه خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم وقيل بل خنق ويقال بل أغرق فالله أعلم " (٢٣).

" ... وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خرب ليس فيها إلا القليل من الناس وهم فى خوف وجوع وذلة وقلة " (٢٤) .

لقد قتل هولاكو الآلاف المؤلفة من العلماء والأعيان والعامة وعلى رأسهم جميعاً خليفة المسلمين المستعصم فى بغداد ، حتى أصبحت حاضرة الخلافة كأن لم تغن بالأمس ، وعشش الخراب فى كل أركانها " وعملت الشعراء قصائد فى مراثى بغداد وأهلها ...

وكان آخر خطبة خطبت ببغداد أن قال الخطيب فى أولها : الحمد لله الذى هدم بالموت مشيد الأعمار ، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار .

---

(٢٣) البداية والنهاية ج:١٣ ص ٢٠١.

(٢٤) البداية والنهاية ج:١٣ ص ٢٠٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال تقى الدين بن أبى اليسر قصيدته فى بغداد وهى :

لسائل الدمع عـن بغـداد أخبـار ... فما وقوفك والأحباب قـد ساروا
يا زائرين إلى الزوراء لا تقـدوا ... فما بذاك الحمـى والـدار ديار
تاج الخلافة والربع الذى شـرفت ... بـه المعـالم قـد عفـاه أقفـار
أضحى لعطف البلى فى ربعه أثـر ... وللدمـوع علـى الآثـار آثـار
يا نار قلبى من نار الحرب وغـى ... شبت عليه ووافى الربع إعصـار
علا الصليب على أعلى منابرهـا ... وقام بالأمر مـن يحويـه زنـار
وكم حريم سبته الـترك غاصبـة ... وكان من دون ذاك الستر أستار
وكم بدور على البدرية انخسـفت ... ولـم يعـد لبـدور منـه أبـدار
وكم ذخائر أضحت وهى شـائعة ... من النهاب وقـد حازتـه كفـار
وكم حدود أقيمت مـن سـيوفهم ... على الرقاب وحطت فيـه أوزار
نادت والسـبى مـهتوك تجرهـم ... إلى السفاح من الأعـداء ذعـار" [٢٥]

ويقول ابن كثير : " ومالوا — يعنى المغول — على البلد — يعنى بغداد — فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشـبان ودخـل كثير من الناس فى الآبار وأماكن الحشوش قنى الوسخ وكمنوا كذلك أياما لا يظـهرون ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار أما بالكسر وإما بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلـى أعـالى الأمكنـة فيقتلونـهم بالأسطحة حتى تجرى الميازيب من الدماء فى الأزقة ، فإنا لله وإنـا إليـه راجعـون ، وكذلك فى المساجد والجوامع والربط ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمـة مـن اليـهود والنصارى ، ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمى الرافضـى ، وطائفـة مـن التجار أخذوا لهم أمانا بذلوا عليه أموالا جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم " [٢٦].

وبعـد ..

فهل يتحمل الخليفة المستعصم المسئولية فى سقوط الخلافة ؟ وهل يتحمل الوزير ابن العلقمى شيئا من المسئولية ؟ هذا ما تحاول الصفحات القادمة الإجابة عنه .

---

[٢٥] شذرات الذهب ج: ٣ ص ٢٧٢:٢٧١

[٢٦] البداية والنهاية ج: ٣ ص ٢٠١،٢٠٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

الخليفة المستعصم ومسؤولية سقوط الخلافة

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه :

عبد الله بن منصور " المستعصم بالله " أبو أحمد ، أمير المؤمنين ، آخر خلفاء بني العباس بالعراق رحمه الله ينتهي نسبه إلى عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي . (٢٧).

مولده ونشأته

ولد المستعصم سنة ٦٠٩هـ (٢٨) ، وأمه أم ولد اسمها هاجر(٢٩) . كما أجاز هو غيره من طلاب العلم (٣٠). كما أجاز هو غيره من طلاب العلم ونشأ في بلاط الخلافة مهتماً بالعلم ، وقد أجازه العلماء (٣١) وقد كان حسن الصورة ، جيد السيرة صحيح العقيدة ، مقتديا بأبيه المستنصر في العدل وكثرة الصدقات وإكرام العلماء والعباد (٣٢) ، وقد اشتهر بالحلم وحسن الديانة وبعض البدعة (٣٣) ، وكان متدينا متمسكا بالسنة كأبيه وجده ولكنه لم يكن مثلهما في التيقظ والحزم وعلو الهمة (٣٤) .

---

(٢٧) البداية والنهاية ج١٣ ص ٤٠٤

(٢٨) البداية والنهاية ج١٣ ص ٤٠٤.

(٢٩) تاريخ الخلفاء ج:١ ص ٤٦٤.

(٣٠) وقد استجاز له – يعني المستعصم – الحافظ ابن النجار مع جماعة من مشايخ خراسان منهم المؤيد الطوسي ، وأبو روح عبد العزيز بن محمد الهروي ، وأبو بكر القاسم بن عبد الله بن الصفار ، وغيرهم ، وحدث عنه جماعة منهم مؤدبه شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن علي بن محمد بن التيار . قال الذهبي وتابعه ابن العماد : " الذي لقنه الختمة " . العبر ج٥ ص ٢٣٠ /٢٣١ ، وشذرات الذهب ج٣ ص ٢٧٣.

(٣١) أجاز للمستعصم للإمام محيي الدين بن الجوزي ، والشيخ نجم الدين البادرائي ، وحدثا عنه بهذه الإجازة . البداية والنهاية ج١٣ ص ٤٠٤ ، وقال السيوطي : " وروى عنه بالإجازة جماعة منهم النجم البادرائي ، والشرف الدمياطي ، وخرج له الدمياطي أربعين حديثاً ، رأيتها بخطه " تاريخ الخلفاء ج:١ ص ٤٦٤،٤٦٥.

(٣٢) البداية والنهاية ج١٣ ص٤٠٤

(٣٣) العبر ج٥ ص ٢٣٠،٢٣١ ، والبداية والنهاية ج١٣ ص٤٠٤.

(٣٤) تاريخ الخلفاء ج:١ ص ٤٦٤ ،٤٦٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبويع له بالخلافة – عند موت أبيه [٣٥] — فى العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين [٣٦] .

وكانت طريقة توليه منصب الخلافة شاهدا على مدى تحكم الأتراك فى هذا المنصب بتوليه من يريدون .، حيث ذهب شرف الدين إقبال الشرابى — وهو أكبر رجل فى بلاط الخليفة المستنصر آنذاك – ، ذهب بعد يومين من وفاة الخليفة إلى ابنه المستعصم ، فأخبره بوفاة والده ، وطلب منه قبول منصب الخلافة ، فوافق على ذلك ، غير أن أقرباءه رفضوا الانصياع لأمر الشرابى ، ورفضوا مبايعة المستعصم ، فأجبروا على المبايعة بضغط من رجال البلاط ، الذين احتالوا عليهم ، وأدخلوهم واحد تلو الآخر على المستعصم ، بإيهام كل واحد منهم أن بقية أقربائه قد بايعوا ، وأودع فى السجن كل من رفض البيعة ، ومنع عنهم الطعام والشراب ، حتى خضعوا أخيرا لما عينه إقبال الشرابى [٣٧] .

" وكان المستنصر — يعنى والد الخليفة المستعصم — أخ يعرف بالخفاجى يزيد عليه فى الشجاعة والشهامة ، وكان يقول إن ملكنى الله الأمر لأعبرن بالجيوش نهر جيحون وانتزع البلاد من التتار وأستأصلهم ، فلما توفى المستنصر لم ير الدويدار والشرابى والكبار تقليد الخفاجى الأمر وخافوا منه ، وآثروا المستعصم للينه وانقياده .، ليكون لهم الأمر ، فأقاموه " [٣٨].

---

[٣٥] تاريخ الخلفاء ج:١ ص ٤٦٤

[٣٦] العبر ج٥ ص ٢٣١،٢٣٠. وشذرات الذهب ج٣ ص ٢٧٢ . قال ابن كثير فى البداية والنهاية ج١٣ ص ٤٠٤ : " كان مقتله فى يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦هـ ، فيكون عمره يوم قتل سبعاً وأربعون سنة رحمه الله تعالى".

[٣٧] سقوط الخلافة العباسية ص ٣٠٣ ، ٣٠٤.

[٣٨] تاريخ الخلفاء ج:١ ص ٤٦٤،٤٦٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعلى الرغم من تولى المستعصم لمنصب الخلافة إلا أنه " كان فيه لين ، وعدم تيقظ ، وسعة المال وجمعه " ، (٣٩) . حتى إن المغول قد اجتاحوا ديار الإسلام واقتربوا من بغداد وهو فى لهو وغفلة (٤٠).

قال ابن الطقطقا : " كان المستعصم رجلاً خيراً متدينا ، ليس الجانب ، سهل العريكة ، عفيف اللسان ، حمل كتاب الله تعالى ، وكتب خطا مليحا ، وكان سهل الأخلاق ، وكان خفيف الوطأة ، إلا أنه كان مستضعف الرأى ، ضعيف البطش ، ضعيف الخبرة بأمور المملكة ، مطموعاً فيه ، غير مهيب النفوس ، ولا مطلع على حقائق الأمور ، وكان زمانه ينقضى أكثر بسماع الأغانى (٤١) ، والتفرج على المساخرة ، وفى بعض الأوقات يجلس بخزانه الكتب جلوسا ليس فيه كبير فائدة ... " (٤٢).

وكان المستعصم قد ركن إلى وزيره مؤيده الدين العلقمى ، الذى كان يكتم عنه كثيراً من أخبار المغول ، وكان معروفاً بميله للتشيع (٤٣).

ولقد أكد المؤرخون عدة حقائق عن الخليفة المستعصم نوجز أهمها فيما يلى :

أولا: أن المستعصم قبل أن يتولى أمر الخلافة كان على علم بالتتار ، وبوجودهم شرقى الخلافة ، وإغارتهم على بعض مناطقها ، وكان أبوه يصانعهم ، مع حزم فيه ذكاء ، وكان عمه المعروف بالخفاجى يرى أنه لو آلت الخلافة إليه لذهب إلى هؤلاء التتار واستأصل شأفتهم.

---

(٣٩) قال ابن كثير فى البداية والنهاية ج١٣ ص ٤٠٤ : (ومن جملة ذلك أنه استحل الوديعة التى استودعه إياها الناصر داود سنة لعظم ، وكانت قيمتها نحوا من مائه ألف دينار فاستقبح هذا من مثل الخليفة وهو مستقبح ممن هو دونه بكثير بل من لعمل لكاب من إن تأمنة بقنطار يؤده إليك) كما قال الله تعالى:(ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما).

(٤٠) قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء ج:١ ص ٤٦٦ . : " التتار حائلون فى البلاد ، وشرهم متزايد ، ونارهم مستعرة ، والخليفة والناس فى غفلة عما يراد بهم ... والمستعصم تائه فى لذاته ، لا يطلع على الأمور ، ولا له غرض فى المصلحة " . وقال ابن العماد فى شذرات الذهب ج٣ ص ٣٥٥. : " شرعت التتار فى فتح البلاد الإسلامية والخليفة غافل فى خلوته ولهوه".

(٤١) ثبت المراجع التيبية أن الخليفة المستعصم كان يسمع الموسيقى ، ليخفف آلام صداع رأسه . الغامدى : سقوط الخلافة ص ٣٠٢.

(٤٢) محمد بن على بن الطقطقا : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية – بيروت – سنة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م ص ٣٣٣.

(٤٣) تاريخ الخلفاء ج:١ ص ٤٦٤،٤٦٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلماذا سكت الخليفة عن هؤلاء التتار حتى فاجأته جحافلهم فى بغداد؟

هل كان المستعصم لا يعبأ بأمر التتار ؟ أم كان مهونا من شـــأنهم ؟ أم حجب وزيره عنه أخبارهم ؟ ربما كان كل ذلك أو بعضه ، ولعل صفاته التى سنتعرض لها الآن بشىء من التوضيح من أهم الأسباب التى تضاف إلى ما سبق ، والتى جعلت التتار تفاجأه فى عقر داره بغداد دون استعداد للمواجهة المحتومة .

ثانيا : ذكر المؤرخون عن المستعصم أنه كان (عالما ، ومتمســكا بالسنة ، مبغضا للبدعة ، وحسن الديانة ، معروفا بالحلم والكرم وسلامة الباطن) وهــذه كلـها صفات نبيلة.

غير أنهم أضافوا إليها صفات أخرى غير مستحسنة ، فقالوا عنه : (كان عنده غفلة ، وعدم تيقظ ، وضعف همة ، وقلة رأى ، وحب للمــال ، واستحلال للوقائع ، وعدم حزم ، مع ترك أمر البلاد والعباد فى يد الوزير ابن العلقمى) .

فهل تصلح هذه الصفات مجتمعة فى حاكم ؟

إن العلم والحلم والكرم وحسن الديانة وسلامة الباطن والتزام السنة وبغض البدعة صفات نبيلة طيبة ، ينبغى أن يتحلى بها المسلم ، لكنه فى المقــابل ينبغى أن يتخلى عن صفات : الشح والغفلة والظلم وقلة الرأى وضعف الهمة ، فإن واحدة من هذه الصفات القبيحة كفيلة بتضييع الكثير من الصفات النبيلة.

وإذا كان المستعصم قد جمع هذه الصفات ، وهو خليفة المسلمين ، فـهنا تكمن الكارثة .، لأن قلة الرأى — مثلا — من الصفات القبيحة التى تهدم صفات حسنة كثيرة ، فهى تمنع صاحبها من محو البدعة ، حيث لا تكفى صفة (بغض البدعة) فى خليفــة ، إذا لا بد أن تجتمع معها القدرة على محوها ، ولن تأتى هذه القدرة إلا فى رجل حــازم ، سديد الرأى ، يقظ القلب والعقل ، عالى الهمة ، وهى صفات يفتقدها المستعصم .

كما أن (قلة الرأى) تضعف صفات (الحلم والكرم وحســن الديانــة وســلامة القلب) ، فإن صحبة الأشرار مثلا تميت هذه الخلال ، وإذا تسلط الأشرار برأيهم على من عنده (قلة رأى) محوا شخصيته ، وأضعفوا حماسه لهذه الخلال الطيبة ، ثــم مـا تلبث أن تتلاشى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان المستعصم قد تحلى بالعلم ، لكنه ترك الأمر لوزيره ، ولم يكن متيقظا ، فإن علمه لا ينفع .، إذ لا بد للعالم أن يعمل بعلمه ، فإن قيل : إنه ترك الأمر لرجل عالم ، فهو دليل على عدم الإفادة من العلم الذى وهبه الله له ، لأن حياة العلم مذكراته ، وعلم لا ينفع صاحبه ، كذهب مخزون فى باطن الأرض لا يفيد شيئا.

وإذا كان المستعصم قد روى أربعين حديثا ، فهذا من دلائل الحفظ والإتقان فكيف يترك نعمة وهبها الله له ، ثم يركن إلى الغفلة وعدم التيقظ ، ويضع الأمر الذى كلفه الله به فى يد غيره وهو خليفة المسلمين الذى ينبغى أن يكون صاحب الرأى والقرار فى مصالح البلاد والعباد ؟!

وفضلا عن ذلك فإن الصفات الطيبة التى سبق ذكرها من حلم وكرم وحسن ديانة وسلامة باطن وتمسك بالسنة وبغض للبدعة ، كلها صفات شخصية يعود نفعها على صاحبها فقط ، وهى وحدها قد تكفى أن وجدت فى رجل مسلم من العامة ، لكنها لا تكفى أن تجتمع فى خليفة المسلمين ، بل لا بد من إضافة صفات أخرى مثل : اليقظة ، والحزم ، وعلو الهمة ، وسداد الرأى ، وقوة العزيمة ، لأن هذه الصفات يتعدى نفعها إلى العامة ، وهى من الأمور اللازم توافرها فى من يتولى قيادة أمة ، ولهذا كان ابن تيمية رحمه الله تعالى يرى أن الحاكم العادل الفاجر يقدم على الحاكم الظالم التقى ، لأن الحاكم العادل يكون عدله لصالح المسلمين ، وفجوره على نفسه ، أما الحاكم الظالم فظلمه يكون للرعية ، وتقواه فى نفسه .

ومن المعلوم أن حب المال مركوز فى فطرة الإنسان ، فقد قال الله تعالى : "وتحبون المال حبا جما " (٤٤) ، ولكن هذا الحب للمال لا يعنى الاستيلاء عليه واستحلاله بغير وجه حق ، لذلك علق ابن كثير على ما فعله الخليفة بقوله : " فاستقبح هذا من مثل الخليفة ، وهو مستقبح ممن هو دونه بكثير ، بل من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار

(٤٤) سورة الفجر : آية ٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يؤده إليك ، كما قال الله تعالى : (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما) [٤٥] .

فهل تؤهل هذه الصفات – التى سبق ذكرها مجتمعة – خليفة المسلمين ليواجه جحافل التتار ويتصدى لهم ؟!

الحق هو أن هذا هو أول بداية لسقوط الخلافة ، فالخليفة الذى لا يستطيع السيطرة على نوازعه الشخصية ، ولا يملك إصدار قرار ، ويترك أمر العباد والبلاد لوزيره ، ولا يدرى ما يحيك له أعداؤه ، وتحجب عنه أخبار تمس أمن البلاد ، وأعجب من ذلك أنه لو بلغته الأخبار ما صنع شيئا ، لا ينبغى أن يحسب فى عداد الخلفاء ، فقد قال ابن العماد : " أخذ لؤلؤ صاحب الموصل يهيئ للتتار الإقامات ، ويكاتب الخليفة سرا ، فكان ابن العلقمى لا يدع تلك المكاتبات تصل إلى الخليفة ، مع أنها لو وصلت لما أجدت لأن الخليفة كان يرد الأمر إليه " [٤٦] . وقال الذهبى فى سنة ٦٥٥هـ : " تردد رسل هولاكو ، وفر أمينه إلى بغداد إلى ناس بعد ناس ، والمستعصم لا يدرى بشىء ، ولو درى لما درأ " [٤٧] .

ثالثا : ومما يؤسف له ما كان عليه الخليفة حال دخول المغول بغداد ، ووصولهم إلى دار الخلافة ، حيث كان ينادم راقصة بين يديه ، فجاءها سهم طائش ، من إحدى الشبابيك ، فقتلت وهى ترقص ، فكان رد الفعل من الخليفة الذى انزعج انزعاجا شديدا ، هو أن أحضر السهم ، وقرأ ما كتب عليه ، فإذا هو : (إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوى العقول عقولهم) ، فأمر الخليفة بزيادة الاحتراز ، وكثرة الستائر على دار الخلافة .

فهل يغنى حذر من قدر ؟! وهل زيادة الاحتراز تكون بزيادة الستائر ؟!

---

[٤٥] قال تعالى : ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون الآية (٧٥) من سورة آل عمران.

[٤٦] شذرات الذهب ج:٣ ص:٢٧٠.

[٤٧] العبر فى خبر من غبر ج:٥ ص:٢٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان الخليفة قد بلغ به الحال أن يلهو فى مثل هذا الوقت الذى تحيط فيه جحافل التتار كل نواحى القصر ، بل ترسل سهما يصل إلى مجلس لهوه !!!.

فهل يمكن أن نبعد المسئولية عنه ، لأنه كان تقيا ؟!!

وهل من التقوى ، وحسن الديانة اللهو فى مثل هذه الأوقات ؟!!

وعلى هذا فإن الخليفة يتحمل العبء الأكبر فى دخول التتار إلى بلاد المسلمين ، لكنه ينبغى أن نقف مع ما فعله الوزير ابن العلقمى ، ونتساءل : هل يتحمل هذا الوزير مسؤولية دخول التتار إلى البلاد؟ وما أسباب ذلك؟ إن الإجابة عن ذلك تستدعى أن ننظر فى حياة ابن العلقمى ، ثم نناقش ما قيل عنه فى مدى تورطه فى العلاقة بالتتار.

ويرى بعض المؤرخين أن السبب الحقيقى وراء سقوط الخلافة هو وزيره ابن العلقمى ، الذى كان يكتم الأخبار عن الخليفة [٤٨] ، وسنناقش هذا الموضوع فى المبحث التالى ، غير أننا يمكن القول : إن الخليفة المستعصم قد استقبل رسالة من هولاكو فى رمضان سنة ٦٥٥هـ هذا نصها:

• لا بد أنه قد وصل إلى سمعك على لسان الخاص والعام ما حدث للعالم على أيدى الجيوش المغولية ، منذ جنكيز خان ، وعلمت أية مذلة لحقت بأسر الخوارزميين والسلاجقة وملوك الديلم والأتابكة وغيرهم ممن كانوا باب العظمة وأصحاب الشوكة ، ومع ذلك لم يغلق باب بغداد قط فى وجه أية طائفة من تلك الطوائف التى تولت هنا السيادة ، فكيف يغلق هذا الباب فى وجوهنا ؟ رغم ما لنا من قدرة وسلطان؟!!!.

وقد نصحناك قبل هذا ، والآن نقول لك : تجنب الحقد والخصام والضغينة ، ولا تحاول أن تقف فى سبيلنا ، لأنك ستتعب نفسك عبثا . ومع هذا فقد مضى ما مضى ، فعليك أن تهدم الحصون ، وتطم الخنادق ، وتسلم ابنك للمملكة ، ثم تتوجه لمقابلتنا ، وإذا كنت لا تريد ذلك فأرسل إلينا الوزير وسليمان شاه والدوادار ، ليوصلوا رسالتنا إليك بغير زيادة ولا نقصان ، فإذا أطعت أمرنا ، فلا حقد ولا ضغينة ، وتبقى لك ولابنك وجيشك ورعيتك ، وأما إذا لم تتنصح ، وسلكت طريق الخلاف والجدال ، فأعد جيشك ، وعين جبهة للقتال ، فإننا مستعدون لمحاربتك .

---

[٤٨] تاريخ الخلفاء ج:١ ص ٤٦٤ ، ٤٦٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واعلم أنى إذا غضبت عليك ، وقدمت الجيش إلى بغداد ، فسوف لا تنجو منى ، ولو صعدت إلى السماء ، أو اختفيت فى باطن الأرض ، فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسرتك، فاستمع للنصحى بمسمع العقل والذكاء ، وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله" [٤٩]

وقد رد عليها المستعصم برسالة هذا نصها :

" أيها الشاب الحدث !! الذى لم يخبر الأيام بعد ، والذى يتمنى قصر العمل ، والذى أغرته إقبال الأيام ومساعدة الظروف ، فتخيل نفسه مسيطرا على العالم ، وحسب أن كلامه قضاء مبرم ، وأمر محكم.

لماذا تطلب منى شيئا ان تجده عندى ؟؟!!

يعلم الأمور أنه من الشرق إلى الغرب ، ومن الملوك إلى الشحاذين ، ومن الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمنون بالله ويعتنقون الأديان ، كلهم عبيد هذا البلاط ، وجنود لى ؟؟!! إننى عندما أشير بجمع الشتات سأبدأ بحسم إيران ، ثم أتوجه منها إلى بلاد توران ، واضع كل شخص فى موضعه ، وعندئذ سيصير وجه الأرض مملوءا بالقلق والاضطراب .

غير أنى لا أود الحقد والخصام ، ولا أن اشترى ضرر الناس وإيذاءهم ، كما أننى لا أبغى من وراء تردد الجيوش ، أن تلهج ألسنة الرعية بالمدح والقدح ، وخصوصا وأننى مع الخاقان وهولاكو خان قلب واحد ولسان واحد .

فإذا كنت مثلى تزرع بذور المحبة ، فما شأنك بخنادق رعيتى وحصونهم ؟!! .. أسلك طريق الود وعد إلى خراسان ، وإن كنت تريد الحرب والقتال ، فلا تتوان لحظة ولا تعتذر، فإن لى ألوفا مؤلفة من الفرسان والرجالة هم على أهبة الاستعداد للقتال [٥٠].

وفى الخطاب الذى أرسله هولاكو تتضح النبرة العالية والعنف والحقد والتصميم على الحرب ، وتبدو ملامح التجبر والتكبر فى كلامه ، فضلا عن الاستهانة بالخليفة المستعصم ، والتحكم فى مملكته.

---

[٤٩] رشيد الدين : جامع التواريخ لتاريخ المغول فى إيران ص ٢٣٠، ٢٣١.

[٥٠] المرجع السابق ص ٢٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا الذى لم يقبله الخليفة ، فرد بشدة فى البداية ، لكنه تراخى ، بادئا ذلك بتصور أن قوته التى لا وجود لها على أرض الواقع ، فجيشه مسرح منذ عهد أبيه (٣١) ، ولا يملك رقاب العباد جميعا ، وليسوا عبيدا له ، ثم انتهى إلى محاولة تبدو بحالة أمثلة مع اليهود الذين استولوا على فلسطين ، حين أكد أنه لا يريد الحرب ، ويحب السلام ، ولا يبغى أن يقال أنه قائد منتصر جيش الجيوش ، وحطم الأعداء ، لأن الحرب دمار وقلق واضطراب ، وهذا المنطق هو عين الدمار والقلق والاضطراب ، فإذا كان هولاكو يتكلم من منطق القوة ، فلا بد أن يكون لدى الخصم المنطق الملائم ، وهذا ما لم يفطنه فى رد الخليفة المستعصم .

إننى أعتقد أن المستعصم إما أنه لم يكن على دراية كاملة بالأحداث ، ولا يدرى أن هولاكو قد اقترب من بغداد ، وإما أنه كان لا يستطيع المواجهة العسكرية حقا ، لمعرفته بظروف جيشه ، وقدراته وبالتالى استخدم الشدة أولا ، ثم انتهى إلى اللين فى القول ، والمطالبة بالسلام والمحبة.

وأما وزيره وعلاقته به ، وعلاقته بالمغول ، ودوره فى سقوط الخلافة ، فسيأتى مجال الصفحات التالية بإذن الله .

---

(٣١) قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء ج:١ ص:٤٦٦ " التتار حائلون فى البلاد ، وشرهم متزايد ، وقلوبهم مستمرة ، والخليفة والناس فى غفلة عما يراد بهم ... والمستعصم قانع لذاته ، لا يطلع على الأمور، ولا له غرض فى المصلحة ، وكان أبوه المستنصر قد استكثر من الجند جدا ، وكان مع ذلك يصانع التتار ويهاديهم ويرضيهم ، فلما استخلف المستعصم ، كان محبا من الراحة والتقشف ، فأشار عليه الوزير بقطع أكثر الجند ، وأن مصانعة التتار وإكرامهم يحصل به المقصود ، ففعل ذلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثانى

هل يتحمل الوزير ابن العلقمى المسؤولية أيضا ؟

الوزير ابن العلقمى هو " مؤيد الدين محمد بن أحمد [٥٢] بن محمد بن على ، العلقمى الوزير مؤيد الدين أبو طالب ابن العلقمى [٥٣].

كان فى خدمة خاله عضد الدين القمى رئيس دار الإنشاء للمستنصر ، ثم جلس مكان خاله ، وأصبح أستاذ دار الخلافة ببغداد ، وفى يوم الأحد ثامن ربيع الأول سنة ٦٤٣هـ استدعى إلى دار الوزارة ونصب وزيرا. [٥٤]

وكان ابن العلقمى قد قرأ على العلماء [٥٥] من رجال العلم ، حتى إن مكتبته الخاصة كانت تحتوى على عشرة آلاف نسخة ، وكلما فرغ من مهام الوزارة كان يشتغل بمكتبه ، وقد صنف كتابا فى المناقب [٥٦].

ولأجل ابن العلقمى ألف عز الدين بن أبى الحديد (ص ٨٨، ٨٩) شرح نهج البلاغة ، وأنشأ القصائد السبع العلويات ، كما ألف الحسن بن محمد الصنعانى (م ٦٥٠هـ) كتاب العباب الزاخر لهذا الوزير ومدحه فى أوله كثيرا [٥٧].

. قال عنه ابن العماد : " كان فاضلا متغاليا فى التشيع إلى غاية ما يكون ، عامل التتار .، ليظفر ببغيته ، فلم ينل منهم ذلك ، وكان ينشد وهو فى حالة الهوان : وجرى القضاء بعكس ما أملته [٥٨] . وقال فى موضع أخر : " شرعت التتار فى فتح [٥٩] البلاد

---

[٥٢] شذرات الذهب ج٣ ص ٢٧٢.

[٥٣] طبقات أعلام الشيعة – الأنوار الساطعة فى المائة السابعة : لآغا بزرك الطهران – دار الكتاب العربى – بيروت . ط الأولى سنة ١٩٧٢م. تحقيق : على نقى منزوى ج١ ص ١٤٩.

[٥٤] المرجع السابق : ج١ ص ١٤٩.

[٥٥] نقل عنه صاحب الرياض : أن تلمذ على عميد الرؤساء حتى تولى ٦٠٩هـ ، وقد أملى عليه أبو محمد بن أبى الدوكيت ص ١٥٣ ، وأجاز له فى صفر ٦٤٨هـ : المرجع السابق : ج١ ص ١٤٩.

[٥٦] المرجع السابق : ج١ ص ١٤٩

[٥٧] المرجع السابق : ج١ ص ١٤٩ – ١٥١.

[٥٨] شذرات الذهب ج٣ ص ٢٧٢.

[٥٩] ليست مع ابن العماد فى كلمة فتح ، لأن ما فعله المغول لم يكن فتحا بل تخريب وتدمير معتمد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلامية ... والوزير مؤيد الدين وأتباع الخليفة يكاتبون هلاكو والرسل بينهم [٦٠].
وبين سبب ذلك فقال : إن الوزير كان يريد أن " يقيم خليفة علويا ، فأرسل أخاه ومملوكه إلى هولاكو ، وسهل عليه أخذ بغداد ، وطلب أن يكون نائبا له عليه فوعدوه بالأماني " [٦١] ، وحجب الوزير المعلومات عن الخليفة . قال الذهبي في سنة ٦٥٥هـ : "توجهت رسل هولاكو وفر أمينه إلى بغداد ، إلى ناس بعد ناس ، والمستعصم لا يدري بشيء ، ولو درى لما درأ " [٦٢] ، وقال ابن العماد : " أخذ لؤلؤ صاحب الموصل يهيئ للتتار الإقامات ، ويكاتب الخليفة سرا ، فكان ابن العلقمي لا يدع تلك المكاتبات تصل إلى الخليفة ، ومع أنها لو وصلت لما أجدت لأن الخليفة كان يرد الأمر إليه " [٦٣].

وقال السيوطي : " ..... والوزير العلقمي حريص على إزالة الدولة العباسية ونقلها إلى العلوية والرسل في السر بينه وبين التتار " ، وقال أيضا : " ثم إن الوزير كاتب التتار وأطمعهم في البلاد وسهل عليهم ذلك وطلب أن يكون نائبهم فوعدوه بذلك وتأهبوا لقصد بغداد " [٦٤] .

وأما صاحب طبقات الشيعة ، فقد نقل كلام ابن العماد وهو يترجم لابن العلقمي ثم علق عليه ، فقال : " قال في الشذرات : كان فاضلا متغاليا في التشيع ، ودعا عليه بقوله : قاتله الله ، ولا رحمه ، بدعوى أنه تسبب في تسلط التتر على بغداد . وكذلك فعل اليافعي ، فقال في مرآة الجنان في حوادث ٦٥٦هـ : وفيها دخلت التتار بغداد ، وسبب دخولهم أن الملك المؤيد ابن العلقمي كاتبهم ، وحرضهم على قصد بغداد .، لأجل ما جرى على إخوانه الرافضة من النهب والخزي وظن أن الأمر يتم ويبقى خليفة علويا ، فأشار على المستعصم أني أخرج إليهم لتقرير الصلح ، فخرج الخبيث وتوثق لنفسه بالأمان ، ورجع ، وقال للخليفة : إنهم يريدون أن يكون الأمر كما كان لأجدادك مع السلجوقية ، فخرج المستعصم مع عدة فقتلوا . ثم قال اليافعي : وفيها توفي الوزير

---

[٦٠] شذرات الذهب ج٣ ص ٢٥٥.
[٦١] شذرات الذهب ج٣ ص ٢٧٠.
[٦٢] العبر في خبر من غبر ج٥: ص : ٢٢٠.
[٦٣] شذرات الذهب ج٣ ص ٢٧٠.
[٦٤] تاريخ الخلفاء ج١ ص ٤٦٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرافضى ابن العلقمى ولى وزارة العراق ١٤ سنة ، وكان ذا حقد على أهل السنة ، فصار سبب دخول التتار بغداد ، ثم انعكس حاله ، وأكل يده ندما ، وبقى بعد تلك الرئيسة الرفيعة فى حالة وضعية ، وولى مع غيره وزارة التتار على بغداد بطريق الشركة ، ثم مرض غما ، ومات بعد قليل . انتهى .

هذا ولكن كلام الذهبى واليافعى ، وأمثالهما لا يوافق الأسلوب العلمى للبحوث التاريخية ، فإن أهالى بغداد المختلفين فيما بينهم طائفيا ، والمترفين فى العيش مع قتلهم لم يكونوا قادرين على المقاومة أكثر مما عملوه بيد ابن العلقمى فى قبال مهاجمين متخلفين حضاريا ، وقليلي المؤنة اقتصاديا ، مع كثرة عددهم .

وأمثال هذه الحوادث كثيرة فى التاريخ : فقد حصلت لروما أمام برابرة الشمال ، وفى بغداد نفسها أيضا قبل ستة قرون ، فإن الاضطهاد الطبقى فى أخر العهد العباسى جعل الشعب يستظل التشيع ضد بلاط الخلفاء ، حتى إن توسع نفوذ الشيعة جعل بعض الخلفاء يلبسون الفتوة وخرقة التصوف بيد نقباء الشيعة تحت قبة الإمام على بمشهد النجف ، كما يذكر لنا ابن الفوطى.

نعم .. لا شك فى أن الردة الأخيرة ضد الشيعة واضطهادهم بيد رجال السنة القشريين وابن الخليفة نفسه على ما اعترف به اليافعى ، وذكر بعضها القاضى فى مجالس المؤمنين ، كان له أثر فى ضعضعة قوة الدفاع العام " [٦٥] .

ومن خلال كلام صاحب طبقات الشيعة ، الذى يدافع به عن أبن العلقمى وفعلته يرى الباحث أن هذا الدفاع فوق تهافته ، يحمل فى طياته بعض الحقائق التى تؤكد ان ابن العلقمى كان ضليعا فى المؤامرة ، فمن ذلك:

أولا: إثبات أنه كان وزيرا لهولاكو بعد قتل الخليفة ، وهذا يدل على مدى العلاقة المشبوهة التى كانت بينه وبين هولاكو.

ثانيا : ومنها أن أهل بغداد لم يكونوا جميعا فى حالة (فتنة طائفية) كما يصورها صاحب طبقات الشيعة ، بدليل وجود ابن العلقمى الشيعى وزيرا لخليفة سنى.

---

[٦٥] طبقات أعلام الشيعة ج١ ص ١٥١،١٥٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا : كما أن أهل بغداد ليسوا جميعا " من المترفين " كما يصورهـا صـاحب طبقات الشيعة أيضا بل كان فيهم الفقراء وذوى الحاجة .

رابعا: أما " قلة عدد أهل بغداد " ، فإن ابن العلقمى كان السبب فى تقليل عـدد الجيش ، فضلا عن تعمية أخبار التتار عن الخليفة ، الذى كان يمكـن أن يعبئ تعبئـة جهادية عامة .

خامسا : وأما ما فعله ابن العلقمى من ذهابه إلى هولاكو حاكم التتـار لأخـذ الصلح منه ، فإن هذا واجبه الطبيعى كوزير ، وفضلا عن ذلك ، فإن الذهبـى ذكـر أن ابن العلقمى عرض على الخليفة — وهولاكو محاصر بغداد- أن يخرج إلى حاكم التتـار ليعرض عليه الصلح ، ثم أسرع هو ليستوثق لنفسه ، فهل كان هذا الوزير نائمـا حتـى جاء التتار ووقفوا على أبواب بغداد ؟! ولعل الخليفة يكون قد طلب من ابن العلقمـى أن يذهب إلى حاكم التتار بصفتهِ وزير الدولة ، ثم إن سؤالا يطرح نفسه : ما الـذى أعلـم ابن العلقمى وهو فى بغداد وجيش هولاكو يحاصرها أن هولاكو كان يريد الصلح؟

سادسا: أما أن الناس استظلوا بالتشيع ضد الخلافة ، فليس على هـذا الكـلام دليل تاريخى .

ثم يعود صاحب طبقات الشيعة ليرد على منهج اليافعى والذهبى التأريخى فيقـول :" وما قاله عن الخلافة العلوية ، فافتراء ، ولم يكن للشيعة أى مرشح ، لذلك فإنـهم وإن أنكروا الخلافة العباسية لكنهم لم يكونوا يعارضون مملكة عباسـية إذا كـانت تضمـن الحريات الدينية ، ولو بأقل مما ضمنته قبلهم الحكومة الشيعية بمصر ، فكان عليـهم أن يلوموا شيوخهم ، وليس ابن العلقمى الذى خفف الدمار عنهم ، ولو لم يكن دهـاء ابـن العلقمى لما اختلف مصير بغداد عن مصير تيسفون التى انقطع عنا جل أخبارها " [٦٦].

ويتساءل الباحث مرة أخرى :

ما الذى فعله ابن العلقمى ليخفف الدمار الذى لحق عاصمة الخلافة الإسـلامية بغداد ؟! وما فائدة دهاء الوزير إذا لم يأت بخير على الناس ؟! وهل كان ابن العلقمـى من السذاجة بحيث يعلن مرشحا علويا قبل سقوط الخلافة العباسية ؟!.

---

[٦٦] طبقات أعلام الشيعة ج١ ص ١٥١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان الشيعة قد أنكروا – كما أثبت صاحب طبقات الشيعة – الخلافة العباسية ، فما المقصود بأنهم لم يعارضوا مملكة عباسية إذا ضمنت هاشما من الحريات الدينية ؟ وأى حرية دينية أكثر من أن يكون وزير دولة الخلافة السنية من أقطاب الشيعة ، الذين وصلت حرية الفكر عندهم إلى الحد الذى يصرح فيه صاحب طبقات الشيعة نفسه بالقول : " ولأجل ابن العلقمى ألف عز الدين ابن أبى الحديد (ص ٨٨، ٨٩) شرح نهج البلاغة ، وأنشأ القصائد السبع العلويات ، كما نقل المجلسى نقلا فى إجازات البحار عن خط شمس الدين محمد بن مكى الشهيد (٧٨٦هـ) ونقلا بواسطة مجموعة الجبعى. وقال فى مجالس المؤمنين إن الحسن بن محمد الصنعانى (٦٥٠هـ) ألف العباب الزاخر لهذا الوزير ومدحه فى أوله كثيرا " [٦٧] ؟؟!!.

وما قول صاحب الشيعة فى هذه الترجمة التى نقلها هو عن أحد أعلام الشيعة؟ حيث يقول : " محمد بن الحسن بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاوس الشريف النقيب مجد الدين بن عز الدين بن سعد الدين أبى إبراهيم الحسنى المعروف بابن طاوس الطى الداودى . مؤلف البشارة الذى أهداه إلى هولاكو المغولى فسلم الحلة والنيل والمشهدين من القتل والنهب حين سقوط بغداد فى ٦٥٦هـ ورد إليه هولاكو النقابة بالبلاد الفراتية فحكم فى ذلك قليلا ثم مات دارجا كما ذكر فى عمدة الطالب وذكر أن أخاه قوام الدين أحمد بن عز الدين الحسن كان أمير الحج ومات دارجا أيضا فانقرض عقب السيد عز الدين الحسن الذى هو أخ رضى الدين على بن طاوس وقد فصل العلامة الحلى فى الألفين شرح ما كتبه صاحب الترجمة مع معاصره سديد الدين يوسف ولـ العلامة من الرسالة إلى هولاكو فى تحصيل الأمان لأهل الحلة " [٦٨].

---

[٦٧] طبقات أعلام الشيعة ج:١ ص ١٥١.

[٦٨] طبقات أعلام الشيعة ج:١ ص ١٥٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى ختام هذه الدراسة الموجزة عن علاقة الخليفة المستعصم ووزيره ابن العلقمى بسقوط الخلافة يمكن القول : إن خذلان الخليفة ، وانهماكه فى الملذات الدنيوية ، وعدم إدراكه لخطورة المسؤولية الملقاة على عاتقه و تعاون وزير الدولة مع أعدائها ، وتحصينه أمر دخولهم بغداد لإسقاط الخلافة الإسلامية السنية ، كان من أهم الأسباب التى أدت إلى سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ ، فضلا عن الأسباب الأخرى التى منها : وصول الدولة فى نهاية عهد بنى العباس إلى تلك حالة من الفواغ السياسى ، والاضطراب الاقتصادى ، والتدهور الاجتماعى ، والصراع الفكرى المذهبى الذى كان له أبلغ الأثر فى ضعف شأن الدولة ، فإذا أضيف إلى تنظيم قوات المغول ، وتصميمهم على اجتياح ديار المسلمين ، وهجماتهم البهمجية الشرسة ،واستمالة بعض قواد الدولة إليهم ، ومن النتائج المهمة التى يمكن استخلاصها من هذه الدراسة :

١- إدراك أن مخالفة سنن الله تعالى الكونية يؤدى بشكل مباشر إلى الضياع والهلاك ، فانتشار الظلم مصيره الهلاك ، قال تعالى : (وكذلك أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا) .

٢- كما أن الترف الزائد يؤدى إلى الهلاك ، قال تعالى : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .

٣- وإن إظهار الضعف والهوان أمام عدو غادر لا يعرف إلا منطق القوة ، والعمل بحب السلام ، وكراهية إظهار القوة ، والخوف من القلق والاضطراب الذى سيعم البلاد فى حالة الحرب ، لهو من أخطر الأمور التى تؤدى إلى الفساد والاضطراب والضياع للأمة ، فما كان الجهاد فى سبيل الله تعالى يوما سببا فى الدمار ، وإنما كان ردعا للظالم ، وإحقاقا للحق ، وتحقيقا للعدل ، وتثبيتا للسلام ، واحتراما للذات ، فضلا عن الشرف الذى يلحق المجاهد فى سبيل الله حين يقتل شهيد الحق والعدل والحرية ، دافعا عن شرفه ووطنه وعرضه ودينه وكرامته وإنسانيته .

لقد ترتب على سقوط الخلافة من الآثار ما كان كفيلا بذهاب ريح هذه الأمة ، وتعطل الشريعة الإسلامية ، ولم يعد هناك من يسوس الدنيا ويحرس الدين ، وتسلط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النصارى بدمشق على الناس ، وعابوا دين الإسلام ولم يجدوا من يجابهم، وفسدت الحياة بسبب الوباء الذى حل بالبلاد ، وانتشرت الأمراض ، وفقدت الأمة عددا كبيرا من علمائها ، وضاع تراثها ، وظهرت الأفكار الإلحادية.

ومع كل هذا فلم تفقد الأمة هويتها ، وما هى إلا سنوات قليلة حتى عادت إلى رشدها ، ولقنت المغول درسا لا ينسى ، ودحرت جحافلهم ، وأبادت غطرستهم فى عين جالوت سنة ٦٥٨هـ ، ثم لم تلبث أن أعلنت الخلافة الإسلامية فى القاهرة سنة ٦٥٩هـ ولم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بعد أن رفعت راية الجهاد ، ووحدت كلمتها ، وأدركت أنه لن يصلح أمرها إلا بما صلح به أولها ، فالتفت حول البقية الباقية من علمائها ، وانطلقت فى سبيل الله تجاهد أعداء هذا الدين فى ثبات تام ويقين راسخ ، فكان النصر المبين ، وعادت الخلافة من جديد رمزا للوحدة الإسلامية .

والحمد لله أولا وأخيرا ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثبت المراجع والمصادر

١- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ – المطبعة الدمشقية والمكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٤٨هـ ، ١٣٥٨هـ .

٢- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى (٧٧٤هـ) : البداية والنهاية : مكتبة المعارف . بيروت.

٣- أغا بزرك الطهرانى : طبقات أعلام الشيعة _ الأنوار الساطعة فى المائة السابعة- دار الكتاب العربى – بيروت ط. الأولى سنة ١٩٧٢م. تحقيق : على نقى منزوى.

٤- رشيد الدين : جامع التواريخ (تاريخ المغول) – نقله عن الفارسية الأستاذ محمد صادق والدكتور محمد موسى هنداوى والدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد . القاهرة ١٩٦٠م.

٥- الدكتور سعد محمد حنيفة مسفر الغامدى : سقوط الخلافة العباسية ط. الثانية ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣.

٦- عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٩١١هـ) : تاريخ الخلفاء- مطبعة السعادة- ط. الأولى سنة ١٣٧١هـ ١٩٥٢م. تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

٧- عبد الحى بن أحمد العكرى الدمشقى (١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب. دار الكتب العلمية – بيروت.

٨- دكتور عصام محمد شبارو : السلاطين فى المشرق العربى –معالم دورهم السياسى والحضارى- دار النهضة العربية –بيروت سنة ١٩٤٤م.

٩- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى (٧٤٨هـ) : العبر فى خبر من غبر . مطبعة حكومة الكويت – الكويت سنة ١٩٤٨م – الطبعة الثانية – مصورة . تحقيق د. صلاح الدين المنجد.

١٠- الدكتور محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى-ط. ١٩٨٣م.

١١- محمد بن على بن الطقطقا : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية . بيروت . سنة ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner